سامية راجح

عنوان المحاضرة الثالثة:

قضية الصدق والكذب

أولا: تعريف الصدق والكذب:

1-تعريف الصدق:

أ- **لغة:** عرفه ابن المنظور الصدق: "نقيض الكذب، صَدَقَ يَصْدُقُ صَدْقاً وصِدْقاً وتَصْداقاً. وصَدَّقه: قَبِل قولَه. وصدَقَه الحديث: أَنبأَه بالصِّدْق"[1].

ب- **اصطلاحا:** وقال الأصفهاني: "الصدق مطابقة القول الضمير والمخبَر عنه معًا، ومتى انخرم شرط من ذلك لم يكن صدقًا تامًّا"[2].

قال الباجي: "الصدق الوصف للمخبَر عنه على ما هو به"[3].

ويمكننا القول أن الصدق أيضا: "هو الخبر عن الشيء على ما هو به، وهو نقيض الكذب"[4].

هناك فرق بين الصدق في الواقع والصدق في الفن، فالصدق الواقعي معناه أن يصف الشاعر الواقع الذي يراه بحيث أن يكون ما يلقيه من أفكار نابعة من واقع حقيقي ملموس يصوره الشاعر في شعره، أما الصدق الفني فمعناه أن يقتدر الشاعر على الكلمة ويملك زمامها ويتمكن من التصوير وأدواته ويقود الموسيقى ببراعة.

وقد يلتقي الصدق الواقعي والفني في قصيدة واحدة بمعنى أن يصور الشاعر حدثا حقيقيا ملموسا ويستخدم لذلك الكلمة الجميلة المعبرة والصورة البديعة الخلابة والموسيقى

---

(1) ابن المنظور: لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، د ب ن، ط1، 01-01-1997م، ج10، ص193.

(2) أبو اليزيد أبو زيد العجمي: الذريعة إلى مكارم الشريعة، دار السلام، القاهرة-مصر، 1428هـ-2007م، ص270.

(3) أبو الوليد االباجي: أحكام الأصول، تحقيق عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، د ب ن، ط2، 1995م، ج2، ص235.

(4) ابن عقيل: الواضح في أصول الفقه، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط1، 1420هـ-1999، ج1، ص129.

البديعة الرنانة ويكون انفعاله بالموقف انفعالا صادقا نابعا من شعوره ووجدانه وليس دخيلا عليه وحينئذ تكون القصيدة قد حاذت الجودة الفنية بكل المقاييس.

2-تعريف الكذب:

أ- لغة: عرفه ابن المنظور قائلا: " الكَذِب نقيض الصِّدْقِ، كَذَبَ يَكْذِبُ كَذِبًا وكِذْبًا. فهو كَاذِب وكَذَّاب وكَذُوب، تقول: كذَّبت الرجل، إذا نسبته إلى الكذب، وأكْذَبتُه إذا أخبرت أن الذي يحدث به كذب"[1].

ب- اصطلاحًا: هو الإخبار بالشيء على خلاف ما هو عليه سواء كان عمدًا أم خطئًا ويعني أيضا الإخبار عن الشيء على خلاف ما هو، عمدًا كان أو سهوًا، سواء كان الإخبار عن ماض أو مستقبل[2].

أما الكذب في الشعر هو كثرة استخدام الخيال، والصور البيانية، في عرض المعاني الشعرية، بحيث يفرط في توظيفها حتى تخرجه إلى الكذب المحض، أو أيهام الصدق.

وللكذب أيضا أنواع وأقسام منها: الكذب الإيهامي الذي هو ضرب من التأليف يحتمي فيه الشاعر بالإيهام والإراق والتهويل في القول لإيصال رسالته، والذي يوقعنا في كمين معنى غير المراد منه. وهو أسلوب مرده إلى إضمار المعنى بقول مغاير للحقيقة والواقع.

أما الكذب الفني الذي هو القول المتباين عن الواقع سواء في الشعر أو غيره من الفنون التعبيرية[3].

---

(1) ابن المنظور: لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، د ب ن، ط1، 01-01-1997م، ج1، ص704.

(2) ابن حجر، فتح الباري، دار المعرفة، بيروت-لبنان، دط، 1379هـ، ج1، ص201.

(3) ك.ك. روثن: قضايا في النقد الأدبي، ترجمة عبد الجبار المطلبي، دار الشؤون الثقافية العامة، د ب ن، ط1، 1989م، ص343.

ثانيا: آراء النقاد العرب القدامى حول قضية الصدق والكذب:

يُعدُّ أسلوبَا الغلوِّ والمبالغة مِن الأساليبِ البلاغيَّةِ التي دارتْ في فَلكِ ثُنائية الصِّدق والكَذِب؛ ذلك أنَّ الشاعر يَسْمُو بنفسه عن نقلِ الواقع بشكلٍ حرفي، بل يسعَى إلى محاولة إتمام نقْصه بالغلوِّ والمبالغة.

فالصدق ضدُّ الغلوِّ مِن الناحية الخُلُقية، أو لنقل: مِن الناحية الدينيَّة، وهو ما يَدفعُنا إلى القول بأنَّ الرجل يجعل الغلوَّ مِن الكذب، ويتعامَل معه على هذا الأساسِ مِن وجهةِ نظرٍ دِينيَّة خُلُقيَّة.

ولعلّ أولى الإشارات النقدية التي حاولت تقييم بعضا من الأشعار الجاهلية، نجد التفاتة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو يرسم حدود الصدق في تقييمه لمديح زهير بن أبي سلمى إذ كان "لا يمدح الرجل إلا بما فيه"[1].

أي يمدحه بما يتمتّع به من سلوك وخصال ومعاملات حقيقية لا ممزوجة بالكذب والمبالغة والتهويل. وهي محاولة رسّخت لمنوال نقدي جديد يعتمد على التعبير الصادق في القول دون مواربة أو تحايل في المعنى.

أما ابن طباطبا العلوي فقد ارتكز في انتصاره لمبدأ الصدق في الشعر إلى الأشعار الجاهلية والإسلامية، وما كانت تجنح إليه من قول الصدق " مديحاً وهجاء، وافتخاراً ووصفاً، وترغيباً وترهيباً [...] وكان مجرى ما يريدونه منه مجرى القصص الحق، والمخاطبات بالصدق

---

[1] ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، د ب ن، ط5، 1401هـ/1980م، ج1، ص80.

فيحابون بما يثابون، أو يثابون بما يحابون"[1]، ومن شدّة نزوعه إلى الصدق، ضمّ عيار شعره قِسما سمّاه بـ: المثل الأخلاقية عند العرب وبناء المدح عليها.

أما لسان الدين ابن الخطيب، الذي ذهب إلى أنّ الكذب يتضاد و مبادئ الإسلام، فالمجيد من الشعراء في نظره من اهتم بـ "نصاعة اللفظ وقصَد الحق وقُرب المعنى وإيثار الجذاذ"[2].

ربط الصدق بالدين الإسلامي وما يحث إليه من دعوة لقول الصدق.

نجد الأمدي قدّم الصدق الفني على الكذب، وقد صرّح بذلك دون موارية "لا والله ما أجوده إلا صدقه، إذا كان من يلخّصه هذا التلخيص ويورده هذا الإيراد على حقيقة الباب"[3].

بعد إيراده مجموعة من الأبيات الشعرية لكلّ من البحتري وأبي تمام تخصّ ألم الفراق وصعوبته وما يتركه في نفسية الإنسان، فإعجاب الأمدي بجودة الأبيات وحسن التخلص الذي امتازت به، وكذا صدق معانيها، هو ما حدا به إلى الإقرار بأن أجود الشعر ما صدق معناه. وفي المقابل عاب بعض الأبيات التي سخف لفظها وشانت معانيها. كقول أبي تمام:

ما حسرتي أن كدت أقضي وإنما حسرات نفسي أنني لم أفعل

حيث علّق قائلا "وهذا لفظ ومعنى في غاية الضعف والاختلال والرّداءة"[4].

---

[1] ابن طباطبا العلوي: عيار الشعر، تحقيق عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، لبنان، ط2، 1426هـ/2005م، ص15.

[2] لسان الدين بن الخطيب: السحر والشعر، حققه المستشرق الإسباني ج.م كونتنته بيرير، راجعه ودققه: محمد سعيد إسبر، بدايات للطبع والنشر والتوزيع، ط1، جبلة-سوريا، 2006م، ص16.

[3] ابن بشر الأمدي: الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، د ب ن، ط4، د ت، ص58.

[4] المرجع نفسه، ص56.

هذا القول يعكس مدى عنايته بالألفاظ والمعاني سواء من حيث الجودة أو السخافة في تقييم الشعر والحكم عليه. كما يكشف سرّ تأييده لمبدأ الصدق الفنّي في الشعر، فكأنّه يريد أن يقول "أنّ أخير الشعر ما صدق معناه، وكذب أسلوبه.

حاول عبد القاهر الجرجاني، أن يعرّف معنى الصدق؛ حيث رجّح أن يكون المراد به

"ما دلّ على حِكْمة يقبلها العقلُ، وأدبٍ يجب به الفضل، وموعظةٍ تُروِّض جماح الهوى وتبعث على التقوى، وتبين موضع القبح والحسن في الأفعال، وتفصل بين المحمود والمذموم من الخصال"[1].

كما أشار إلى أنّ المعاني العقلية المُعرقة في الصدق لا تحدّ من الطاقة الإيجابية التخييلية للصدق.

فهو صدق لا يلتجأ فيه إلى النقل الحرفي للواقع، بل يترك للشاعر حرية الإبداع والسفر بالخيال دون الخروج عن مقاييس العقل وضوابطه المتّزنة. بل التلطف والرفق في القول هي الرسالة التي حاول الجرجاني ترسيخها في أسرار بلاغته. وكأني به يريد أن يقول أنّ الشعر الصادق هو الشعر المخيّل الذي "يأتي على درجاتٍ[2].

حيث يعزّز الشاعر قوله بأوصاف أخرى لإضفاء جوانب فنية وجمالية على نصه الشعري، فما ميّز حديث الجرجاني عن ثنائية الصدق والكذب، هو أنّه لم يوغل في التطرق إلى مصطلحات الاستحالة العقلية، بل حدّها في الصدق الفنّي المبني على مقاييس العقل.

وقد رأى أرسطو أنّ الكذب في الشعر أكثر من الصدق، وذكر أنّ ذلك جائز وهو رأي حفّز الفرابي، للرّبط بين الكذب والشعر؛ وذلك أثناء حديثه عن الأقاويل أو القياسات، مشيرا إلى أنّ "الكاذبة بالكل لا محالة فهي الشعرية"، مبعدا الأقاويل الصادقة من صفة الشعرية؛

---

(1) عبد القادر جرجاني: أسرار البلاغة، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة–مصر، د ط، د ت، ص271.

(2) المرجع نفسه، ص267.

وكأنّه أراد أن يقول أنّ "الشعراء كذّب بالمهنة"[1]، بمعنى آخر إنّهم يحترفون الكذب ويستطيعون التصرّف في المعنى بحسب الموقف والسياق.

أما نظرة قدامة بن جعفر للكذب في الشعر، هو الغلو في القول الشعري بناء على ما استشفّه من الدراسات الشعرية لفلاسفة اليونان، وكذا ما استخرجه من الأشعار العربية القديمة معتبرا أنّ المراد بالغلو هو المبالغة، منكرا على من اعتبره خروجا عن الموجود والدخول في باب المعدوم. مشيرا إلى أنّ القصد منه وصول مرتبة التجويد في الوصف، وهو كذلك "تجاوز في نعت ما للشيء أن يكون عليه، وليس خارجاً عن طباعه إلى ما لا يجوز أن يقع له"[2].

فقد اعتبر الغلو واجهة شعرية تتيح للشاعر التوسّع في المعنى بغية إضفاء لمسة جمالية أخرى عليه، مادام أنّ الصدق في الشعر باب محدود المعاني، وتجاوزه إلى المبالغة وسيلة لاكتساب الشعر صفة الجودة. وهي رؤية تكشف أنّ الشعراء الذين انخرطوا في هذا الصنف من القول قد طوّروا من استعاراتهم "البيانية المتميزة إلى غلو من أجل المبالغة"[3].

وهو رأي لا يمكن اعتباره مقياسا، مادام هناك من الأشعار الصادقة المعنى التي لاقت استحسانا لجمالية ألفاظها وروعة وصدق معانيها.

أبو هلال العسكري، في توصيفه لهذه الإشكالية النقدية، ابتدأ بتقسيم المعاني إلى المستقيم الحسن والمستقيم القبيح، والمستقيم الكذب، والمحال الذي اعتبره ممّا يفسد الكلام، وهو تقسيم يبسط فيه الرأي عن خصوصية كلّ واحد منها، كما أنّه يشي أنّ الخروج إلى الكذب في الكلام قد يأتي في الشعر كما في الكلام العادي. متناولا خصوصية الشّعر وما بني عليه

---

[1] ينظر: أرسطو طاليس: فن الشعر، مع الترجمة العربية القديمة وشروح الفارابي وابن سينا وابن رشد، ترجمة عبد الرحمان بدوي، مكتبة النهضة المصرية، مصر، د ط، 1953م، ص151.

[2] ينظر: ابن طباطبا العلوي: عيار الشعر، تحقيق عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، لبنان، ط2، 1426هـ/2005م، ص49.

[3] ابن طباطبا العلوي: عيار الشعر، المرجع السابق، ص202.

من صفات؛ مرشدا إلى أنّ أكثر الشّعر "قد بُنِيَ على الكَذِبِ والاستحالَةِ مِنَ الصفاتِ الممتنِعَةِ، والنُّعوتِ الخارِجَةِ عَنِ العادات، والألفاظ الكاذبةِ مِنْ قَذْفِ المُحصناتِ، وشَهادَةِ الزُّورِ وقَولِ البُهتان؛ لا سيَّما الشِّعرُ الجاهليُّ الذي هو أقوى الشِّعرِ وأفْحَلُه"[1].

وقد زكّى غلبته للكذب في الشعر، بقولة لأحد الفلاسفة، عندما سئل أحدهم "فُلانٌ يَكذِبُ في شِعرِه؛ فقالَ: يُرادُ مِنَ الشاعِرِ حُسنُ الكلامِ، والصِّدقُ يُراد مِنَ الأنبياء، وبين حسن الكلام وجودته لفظا ومعنى التي يجب أن تسم الشّعر حتّى وإن كان كاذبا إذ لا " يُراد منه إلاّ حُسنُ اللَّفظِ وجَودَةُ المعنى؛ هذا هو الذي سوَّغ استعمال الكَذِبِ وغيرِه ممَّا جَرى ذِكْره فيه"[2].

فالعسكري انتصر لمبدأ الكذب في الشعر؛ مميّزا فيه بين الاستحالة في الصفات، وما خرج عما ارتضته الجماعة من قوانين وأعراف يجيء بها الشاعر، وهي معايير استعملها الشعراء لتجويد صناعتهم الشعرية لفظا ومعنى.

---

[1] أبو هلال العسكرس: الصناعتين: كتابة والشعر، تحقيق علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل ابراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1371هـ/1952م، ص136-137.

[2] أبو هلال العسكرس: الصناعتين: كتابة والشعر، المرجع السابق، ص137.

عنوان المحاضرة الرابعة:

الوضوح والغموض

مفهوم الوضوح:

1- لغة:

"**وُضُوح:** مصدر وَضَحَ، صفة أو حالة ما هو واضح، ما هو مُعبَّر عنه من دون إبهام أو غموض"[1]. اشتهر طه حسين بوضوح عبارته، **وضوح** صورة: ظهور الخطوط والملامح بدقَّة.

2- اصطلاحا:

إن الوضوح لا يعني السطحية كما يعلم البعض فهو يستعمل بعض الإيحاءات والإشارات لأن لغة الشعر، تقوم على الخيال والتجسيد، يقول في ذلك ابن سينا: «الشعر كلام مخيل مؤلف من أقوال موزونة متساوية وعند العرب مقفاه».

فالوضوح في الفكر العربي لا يعني السطحية والتعبير المباشر، فهو ليس ساذجا، فإن الوضوح هو من صفات البيان العربي والمقصود منه بلوغ النص للمتلقي وفهمه دون خلط في معناه، "فالوضوح هنا هو استخدام الألفاظ المتداولة والتي يسهل على المتلقي فهمها بأسلوب يكون جيد يستطيع القارئ من خلاله تحديد معاني تلك الكلمات وما تؤول إليه"[2].

---

[1] لسان العرب، ابن المنظور، ت أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، ج5، ص365.

[2] ينظر، ابن رشيق: العمدة، ت محي الدين، ط5، ج1، د ت، ص89.

النقاد المؤيدون لقضية الوضوح:

وذهب في ذلك الأصمعي الذي أيد الوضوح فيقول « فيقول البليغ من طبق المفصل، وأغناك عن المفسر »[1].

فهو يرى أن الوضوح ضروري لفهم المعنى ووضوح المغزى، والابتعاد عن عناء تكلف بتفسير والتأويل...

لكن الأصمعي لا يؤيد الوضوح الساذج، فهو يراه شرط ضروري لكن مع توفر العطاء في الشعر وبذل جهد لإصابة الغرض وتشويق المتلقي (القارئ)...

كذلك الجاحظ الذي يرى أن « مدار الأمر والغاية التي يجري القائل والسامع، إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان »[2]. فهو يدعو في هذا الرأي إلى إظهار المعاني المقصودة بلغة واضحة مفهومة ويوافقه الرأي قدامة ابن جعفر « من عيوب الشعر الانغلاق وتعذر العلم بمعناه »[3]. حيث اعتبر غموض وإبهام في المعنى يعد عيبا من عيوب الشعر التي من الممكن أن تنقص من قيمة هذا الشعر والإبداع.

النقاد المعارضين للوضوح:

هناك العديد من النقاد الذين فضلوا الغموض بكونه يزيد قيمة المعنى والجمال الفني، من بينهم:

---

(1) الأصمعي: حجة الأدب ولسان العرب، تركي بن الحسن الدهماني، دار أمواج للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2013، ص130.

(2) الجاحظ: البيان والتبيين: تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1998، ج1، ص137.

(3) قدامة ابن جعفر: نقد الشعر، ت: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، د، ت، د، ط، ص159.

حازم القرطاجني: «إن المعاني إذا كانت أكثر مقاصد الكلام ومواطن القول تقتضي الإعراب عنها والتصريح عن مفهومتها فقد يقصد في كثير من المواضع إغماضها وإغلاق أبواب الكلام دونها، وكذلك–أيضا– فقد نقصد تأدية المعنى في عبارتين، إحداهما واضحة الدلالة عليه، والأخرى غير واضحة الدلالة لضروب من المقاصد، فالدلالة على المعاني إذن على ثلاثة أضرب، دلالة إيضاح، دلالة إيهام، ودلالة إيضاح، وإيهام معا»[1]، حيث جعل الدلالات تختلف وتتنوع حسب الاحتمالات.

وهناك أيضا ابن أبي الحديد الذي قال «وأفخر الشعر ما غمض فلم يعطك إلا بعد مماطلة»[2]، اعتبر جودة الشعر تزيد في غموضه، وكلما كثرة المعاني ودلالات في الشعر زادت قيمته.

مفهوم الغموض:

أ- لغة:

استخدم مصطلح الغموض في عدة معاجم عربية، ففي لسان العرب في مادة غمض ذكرت على أنها أسماء معاني، وتعني الدقة واللطف، عرفه الزبيدي في مادة (غ م ض) قائلا: "الغامض: المطمئن المنخفض من الأرض، الجمع: غوامض، كالغمض بالفتح... والجمع: غموض وأغماض... وقد غمض المكان يغمض غموضا ... والغامض: الحسب غير المعروف، جمعه: أغماض، كصاحب: أصحاب"[3].

---

(1) حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ت محمد الحبيب بن خوجة، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1986م، ص172.

(2) ابن أبي الحديد، الفلك الدائر، ت: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، دار الرفاعي، الرياض، ط2، 1403هـ، ص281.

(3) الزبيدي محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد الستار فراج، مطبعة حكومة الكويت، ج1، الكويت، ص364–365.

أما الزمخشري قال: "يقال للأمر الخفي والمتعاص: أمر غامض. وكلام غامض: غير واضح، وهذه مسألة فيها غوامض، ومكان غامض وغمض: مطمئن: سلكوا غموض الفلاة. وغمض في الأرض غموضا إذا ذهب وغاب. ودار فلان غامضة: ليست بشارعه، وهي التي تنحت عن الشارع، وحسب غامض: مغمور غير مشهور"[1]

كما يقول فيروز آبادي عن الغموض: "الغامِضُ: المُطْمَئِنُّ من الأرضِ، ج :غَوامِضُ، كالغَمْضِ ج :غُموضٌ وأغْماضٌ، وقد غَمَضَ المكانُ غُموضاً، وغَمُضَ غُموضَةً وغَماضَةً، والرجُلُ الفاتِرُ عن الحَمْلَةِ، وخِلافُ الواضِح من الكلام"[2].

ب- إصطلاحا:

لم يستطع الغموض أن يحدد بسبب تعدد مفهوماته، فالشعر العربي قديما لم يخلو من الغموض إلا أنه كان قليل الاستخدام مقارنة مع الوضوح الذي اعتبر السمة الغالبة على الشعر آنداك، يقدم عز الدين اسماعيل تعريفا للغموض «صفة خيالية تنشأ قبل مرحلة التعبير المنطقية، أي قبل مرحلة الصياغة النحوية»[3]، فهو يرى أن الغموض هو غموض الفكرة وعدم وضوحها قبل أن تكتب "مرحلة الكتابة".

حيث ذهب منظروا الأدب العربي من بينهم مسعد بن عبد العطوي في تعريف الغموض قائلا: « الغموض يمكن أن يعني عدم القطع فيما تعنيه أو تراه لأن تعني أشياء كثيرة أو احتمال أن تعني هذا أو ذاك أو كليهما معا، وحقيقة إن جملة لها عدة معان»[4]. فهو يرى أن الغرض من الغموض يكمن في تعدد المعاني ودلالات وكثرة احتمالات.

---

(1) أبي قاسم بن أحمد الزمخشري: أساس البلاغة، دار الكتب العلمية، ج1، ط1، بيروت، 1998، ص712.

(2) فيروز آبادي: القاموس المحيط، تحقيق مكتبة التراث، ط8، بيروت، لبنان، 2005، ص649.

(3) عز الدين اسماعيل: الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره، دار الفكر العربي، ط3، بيروت، 1966م، ص189.

(4) مسعد بن عبد العطوي: الغموض في الشعر العربي، فهرسة مكتبة الملك الوطنية أثناء النشر، ط2، السعودية، 1420هـ، ص71.

النقاد المؤيدين لقضية الغموض:

يكون الغموض فنا إبداعيا وسمة جمالية في النص اتبعها العديد من النقاد والكتاب بحيث اعتبروها تؤثر على المتلقي، فيقول في هذا الصدد، محمود درابسة "والغموض المعني هنا هو ما شدك إلى حوار معه، واستفز مشاعرك وعقلك من خلال غموض عباراته وصوره وموسيقاه، إذ يتجسد الغموض في ثراء النص الإبداعي، وتعدد دلالاته وقراءاته، مما يخلق نوعاً من اللذة الحسية والذهنية تجاه خبايا النص واللامتوقع أو اللامنتظر في صوره وجمالياته الفنية. وهذه الحال تخلق نوعاً من التواصل والألفة بين النص والقارئ الذي يتلقى النص، ويشعر أنه بحاجة إليه مهما كان غامضاً ليطفئ من خلاله لهيب مشاعره، وطموحه الذهني"[1].

أما ابن الأثير يقول: «لمعول عليه في تأليف الكلام من المنثور والمنظوم وإنما حسنه طلاوته، فإذا ذهب ذلك عنه فليس شيء»[2]، حيث اعتبره ابن الأثير من خلال هذا القول أنه ركيزة أساسية من ركائز الجمال الفني في الشعر.

نجد ابن طباطبا أيضا من مؤيدي الغموض في الشعر بحيث، اعتبره من أهم ملامح الجودة وسمة حسنة فيرى «تعريض خفي يكون خفائه أبلغ في معناه التصريح الظاهر»[3]، فهو يرى أن تلميح أبلغ من التصريح، بدفق لشوق ويثير القارئ لاكتشاف المجهول من المعنى.

آراء النقاد المعارضين لقضية الغموض:

---

[1] محمود درابسة: التلقي والإبداع–قراءة في النقد العربي القديم، دار جرير، ط1، عمان، 2010م، ص125.

[2] ابن الأثير ضياء الدين، المثل السائر، تحقيق أحمد وبطانة بدوي، مطبعة الرسالة، د ت، ص359.

[3] ابن طباطبا: عيار الشعر، ت: عبد العزيز المانع، دار العلوم، 1405هـ، ص24.

من أبرز البلاغيين الذين عارضوا قضية الغموض في الشعر القديم:

أبي عثمان الجاحظ الذي قال: «لا خير في كلام لا يدل على معناك ولا يشير إلى مغزاك وإلى العمود الذي إليه قصدت والغرض الذي إليه نزعت»[1] أي أن من شروط الفصاحة "الوضوح".

أما ابن الرشيق فقد اشترط للشاعر المجيد أن "يلتمس من الكلام ما سهل ومن القصد ما عدل ومن المعنى ما كان واضحا جليا يعرف بديا"[2]

حيث يرى ابن الرشيق أن الغموض قد يصعب عملية الفهم للقارئ هذا يعد عيبا للشاعر، فالشاعر المجيد هو من نجد كلامه سهل ومفهوم، ذا معنى واضح، يسهل على المتلقي استيعابه.

---

[1] الجاحظ: البيان والتبيين، ت: عبد السلام هارون، دار الكتب العلمية، ط4، 1985، ج1، ص168.

[2] ابن رشيق: العمدة، ت: محمد محي الدين، عبد الحميد، ط5، ج1، د ت، ص89.

عنوان المحاضرة الخامسة:

العلاقة بين الشعر والدين

لقد كان الشعر من بين ألوان الفن القولي، يمتاز بين القيم الجاهلية والقيم الإسلامية، بموقف خاص وكان مرد هذا الامتياز إلى حياة الدعوة الإسلامية نفسها وما لقيت من عسف المشركين وتسفيههم، وكان الشعر أداة حادة عند العرب، فقد انطلق مشركو قريش يغرون شعراءهم بالنبي صلى الله عليه وسلم ودعوته وعقيدته.

إن الشعر العربي القديم حميم بالدعوة الإسلامية، يقف معها أو ضدها ويتأثر بها على نحو ما موضوعاته ومعانيه، والبعض منه كان بعيدا لم تصله بالدعوة روابط متينة، فمضى أصحابه ينشدونه وفق السنن الفنية التي كانوا يتبعونه من قبل، وقد نجد فيه أثرا للإسلام أحيانا، ولكن هذا الأثر ينعدم في أحيان كثيرة.

لقد اقترنت العلاقة بين الشعر والدين لدى النقاد بموقف دفاعي عن الشاعر دون الشعر، فإذا عيب على أبي تمام بأنه قليل التدين لا يؤدي الصلوات في أوقاته، فقد دفع دافع عنه "الصولي" بأن الدين ليس مقياسا في الحكم على الشاعر، وإذا أعاب بعضهم "المتنبي" بأنه مستهتر في شعره ببعض الشؤون الدينية دافع عنه القاضي الجرجاني" لا عن شعره بأن الشاعر لا يعاب لدينه. فالفصل في الموضوع بين الشعر والدين لم يتضح إلا عند رجل من أشد النقاد تحرجا وهو "الأصمعي" ونجد نقادا مثل "البقلاني وبن شرف وبن بسام" أخلاقيين في معيارهم: فمعيار الأخلاق والدين في نظر "ابن المعتز" (ت299هـ)، وأبي بكر الصولي (ت355هـ) في الحكم على الشعر والشاعر ساقط في ميزان النقد قال "الصولي": « ما ظننت أن كفرا ينقص من شعر ولا إيمانا يزيد فيه، وضر الأربعة الذين أجمع العلماء على أنهم أشعر الناس، "أمرئ القيس والذبياني وزهير والأعشي"، كفرهم في شعرهم، وإنما ضرهم في أنفسهم، ولا رأينا "جريرا والفرزدق" يتقدمان "الأخطل" عند من يقدمهما عليه بإيمانهما وكفره وإنما تقدمهما بالشعر [1]».

---

[1] الآمدي الموازنة بين الطائيين، مصدر سابق، ص428.

ولقد نهى "ابن حزم" (ت456هـ) عن اعتماد الشعر في تربية الشيء واستثنى من ذلك الحكم والمواعظ والمديح النبوي، لأنها تقوم على الصدق وما عداها فيقوم على الكذب ويروج للفتن ويبعد عن محاسن الأخلاق. فقد نهى عن العزل لأنه يروج للصبابة والفتوة ويحث النفس عن الخلاعة وما ينجز عنه من اقتناص الملذات ... ونهى عن الهجاء لأنه من أفسد أنواع الشعر لتهوينه شأن المرء لمرتبة السفلة.

وأعتبر غرضي المدح والرثاء من المباح –رغم كراهتها–فهما مباحان لتذكيرهما بالفضائل ومغبة الانحراف عنهما، أما أدراجهما في المكروه من القول فلأن الكذب يشملهما ولا خير في الكذب[1].

والذوق العام هو المتحكم في الأدب وفي النقد أيضا، وكان لابد لهذا الذوق من أن يصاب بمثل ما أصاب الحياة العربية من تغيير وتطور مما انعكس أيضا على طبيعة الشعر وموضوعاته وفنونه، مما كانت تعج به الحياة الثقافية فأثر في مقاييسه فأخذ الإحساس بالتغيير في الإحساس والذوق يتغير في هيمنة النموذج القيمي والفني المتوارث منذ الجاهلية حتى فترة العصر العباسي، فتم التحول إلى نماذج جديدة صدرت في منابع ثقافية متعددة في الثقافات والمستويات والقيم العامة والتقاليد المتبعة فـ"أخذت المقاييس الأخلاقية والقيم العامة والتقاليد المتبعة تنحني أمام تيارات جديدة أو تصطدم بها"[2].

ويمكن القول إن رؤية النقد لعلاقة الشعر بالأخلاق اتسمت بالدفاع عن الشاعر الذي يصدر عنه شعر لا يلزم بالقيم الأخلاقية. فالدين والخلق ليس مقياس للحكم على الشاعر أو

---

[1] ينظر: "ابن حزم الأندلسي" (أبو محمد)، رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق الدكتور إحسان عباس، القاهرة (د، ط)، 1954، ص65، 67.

[2] إحسان عباس: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، مرجع سابق، ص647.

الشعر ولو كان المعيار كذلك لطرح شعر الجاهليين لأنهم كانوا وثنيين، ولا طرح من ذلك شعر "بشار برد"، لأنه كان ماجنا مستهترا بالخلق والدين[1].

فلقد أكد الله تعالى على تلك الصفة فقال تعالى: ﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ ،سورة الشعراء الآيات (224-225-226)

[1] ينظر: سليمان مودع: محاضرات في قضايا النقد القديم، للسنة الثانية ماستر (ل.م.د)، أستاذ محاضر "أ" بمعهد الآداب واللغات –المركز الجامعي– ميلة.